

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[138] الإيمان في الوقت الذي خلت فيه قلوبُهُم من نور الأ، فتقول الآية عن هذه

المجموعة (ويقولون آمنا بأ وبالرّسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أُولئك بالمؤمنين). ما هذا الإيمان الذي لا يتجاوز حدود ألسنتهم، ولا أثر له في أعمالهم؟ ثم تذكر الآية التي بعدها دليلا واضحا على عدم إيمانهم (وإذا دعوا إلى الأ ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون). ولتأكيد عبادة هذه المجموعة للدنيا وفضح شركهم، تُضيف الآية (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) وبكامل التسليم والخضوع. والجدير بالذكر أن العبارة الأولى تحدثت عن الدعوة إلى الأ ورسوله(صلى الأ عليه وآله وسلم). وأمّا العبارة التالية أي كلمة "ليحكم" فإنّها جاءت مفردة، وهي تشير إلى تحكيم الرّسول(صلى الأ عليه وآله وسلم) لوحده؛ وذلك لأنّ تحكيم الرّسول(صلى الأ عليه وآله وسلم) ليس منفصلا عن تحكيم الأ تعالى، حيث أنّ كلا الحكمين في الحقيقة واحد. كما يجب الإنتباه إلى أنّ ضمير الهاء المتصلة في "إليه" يعود إلى النبي(صلى الأ عليه وآله وسلم) نفسه، أو إلى تحكيمه. وكذلك لا بدّ من الإلتفات إلى أن الآية نسبت التخلّف عن هذا الحكم والإعراض عن تحكيم الرّسول(صلى الأ عليه وآله وسلم) إلى مجموعة من المنافقين فقط. ولعل ذلك لأن الفئات الأخرى لم تكن بهذه الدرجة من الجرأة وعدم الحياء، لأنّ للنفاق مراتب أيضا كمراتب الإيمان المختلفة. وبيّنت الآية الأخيرة في ثلاث جمل، الجذور الأساسية ودوافع عدم التسليم إزاء تحكيم الرّسول(صلى الأ عليه وآله وسلم) فقالت أوّلا (أفي قلوبهم مرض). هذه صفة من صفات المنافقين يتظاهرون بالإيمان، ولكنّهم لا يُسلّمون بحكم الأ ورسوله، ولا يستجيبون له، إمّا بسبب انحرافهم قلبيا عن التوحيد أو الشك والتردد (أم ارتابوا) وطبيعي أن الذي يتردّد في عقيدته، لن يستسلم لها أبداً. وثالثها فيما لو لم يلحدوا ولم يشكوا، أي كانوا من المؤمنين: (أم يخافون أن